Abhat Journal, Volume. 15, Issue. 2, September 2023

Abhat Journal, Faculty of Arts, Sirte University مجلة أبحاث بكلية الآداب جامعة سرت

Source Homepage: http://journal.su.edu.ly/index.php/ABHAT/index

منهج ابن عطية والبيضاوي في إيراد القراءات القرآنية: دراسة مقارنة

أ. غيداء شوعي جُندُس

Gheidaagunds@gmail.com

كلية الآداب/ جامعة صنعاء/ اليمن

الملخّص:

يتناول هذا البحث القراءات القرآنية عند الإمام ابن عطية والإمام البيضاوي من خلال كتابيهما، وقد جاء البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة. تناولت المقدمة أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهدافه ومشكلة البحث وتقسيماته. أما المبحث الأول: فقد احتوى على مطلبين: المطلب الأول: ترجمة مختصرة عن ابن عطية والبيضاوي والمطلب الثاني: التعريف بالقراءات وأهميتها وحكمة تعددها وجاء المبحث الثاني في مطلبين أيضاً: المطلب الأول: منهج ابن عطية في القراءات من خلال كتابه المحرر الوجيز، والمطلب الثاني: منهج البيضاوي في القراءات من خلال كتابه أنوار التنزيل.

أما الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات والتي كان من أهمها:

1- أن القراءات القرآنية تثري التفسير، وتعدد المعاني والدلالات.

2- الفائدة الكبيرة التي يحتويها كلا التفسيرين في العلوم المختلفة وخاصة فيما يتعلق بالقراءات.

3- تميز الإمام ابن عطية في ذكر القراءات صحيحها وشاذها وينسب كل قراءة إلى صاحبها، ويوجهها، واقتصر الإمام البيضاوي على القراءات السبع وقد يذكر -أحيانا- قراءة يعقوب الحضرمي.

الكلمات المفتاحية:

ابن عطية، البيضاوي، منهج. مقارنة، القراءات.

Ibn Attiya's and Al-baidawee's Curriculum in the Quranic Readings "Comparative Study"

Ghida Shoei Gundus

Gheidaagunds@gmail.com

Faculty of Arts/ Hodeidah University/ Yemen

Abstract:

This research deals with Quranic readings at Imam Ibn Attiya and the Al-baidaw Imam through their books. The research came in an introduction, researchers and a conclusion that addressed the importance of the subject, the reasons for its choice, its objectives, the problem of research and its divisions. The first study contained two requirements: The first requirement is a brief translation of Ibn Atiyah and the Al-Badawi. The second requirement is to make readings known, their relevance and the wisdom of their multiplication. The second examined two requests: The first requirement is Ibn Atiyah's approach to readings through his brief editor book. The second requirement is the Al-Badawi approach to readings through his book Inawr Altanzial.

The conclusion mentioned the main findings and recommendations, the most important of which were:

1- Quranic readings enrich interpretation, multiple meanings and connotations.

2-The great usefulness of both interpretations in different sciences, especially with regard to readings.

3-Imam Ibn Attiyah distinguished in mentioning the readings are true and anomalous and attributes each reading to its owner, directs them, and the Al-Badawi Imam is limited to the seven readings and may sometimes mention the reading of Jacob Hadrami.

Keywords:

readings, curriculum, ibn atiyah, Al-baidawee, Comparative study.

المقدمة:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفي ﷺ ه من خلقه وخليله.

أما بعد، فإن القراءات القرآنية من مباحث علوم القرآن التي حظيت بعناية خاصة واهتمام بالغ من قبل علماء المسلمين سواء منهم المتخصصون في هذا الجانب أو المفسرون، لما لها من أهمية عظيمة وأثر بالغ في إثراء المعنى وتعدد الأحكام، وترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض، وهي كذلك تمثل رافدا بالغ الأهمية من روافد تفسير كتاب الله تعالى والوقوف على معانيه وحكمه وأسراره، فكثيرا ما تكون إحدى القراءات مفسرة للأخرى.

ومن المفسرين الذين اهتموا بالقراءات القرآنية ابن عطية الأندلسي في كتابه المحرر الوجيز والقاضي البيضاوي في كتابه أنوار التنزيل وأسرار التأويل، وفي هذا البحث تتناول الباحثة منهج المفسرين في تناولهما للقراءات من خلال كتابيهما المذكورين.

أهمية الموضوع:

1) تظهر أهمية الموضوع من حيث تعلقه بكتاب الله تعالى، فهو يتناول القراءات القرآنية التي تعد رافدا بالغ الأهمية من روافد تفسير كتاب الله تعالى.
2) الوقوف على معانيه وحكمه وأسراره، فكثيرا ما تكون إحدى القراءات مفسرة للأخرى.
3) كما أنه يتناول علمين من علماء المسلمين كان لهما عناية كبيرة بالقراءات.

أهداف البحث:

1) التعريف بابن عطية والبيضاوي.
2) التعريف بالقراءات وأهميتها وحكمة تعددها.
3) إبراز منهج ابن عطية والبيضاوي في إيرادهما للقراءات.
4) بيان مدى توسع ابن عطية في إيراده للقراءات مقارنة بالبيضاوي.

مشكلة البحث:

يحاول البحث الإجابة عن التساؤلات التالية:

- ما حقيقة القراءات وما أهميتها وما حكمة وأغراض تعددها؟
- ما مدى اهتمام كل من ابن عطية والبيضاوي بالقراءات؟
- ما المنهج الذي اتبعه كل من ابن عطية والبيضاوي في تناولهما للقراءات؟ وتعود أسباب اختيار الموضوع إلى الآتي:

- تعلق القراءات بتفسير كتاب الله تعالى، فكثيرا ما تكون إحدى القراءات مفسرة للأخرى.
- اهتمام كل من ابن عطية والبيضاوي بالقراءات في تفسيريهما.
- إبراز منهج المفسرين في القراءات من خلال إيراد نماذج لها من خلال كتابيهما.

منهجية البحث:

أتبعت الباحثة المنهج الوصفي المقارن حيث تناولت القراءات عند المفسرين كما أورداها ومن ثم عقدت مقارنة بينهما.

خطة البحث:

احتوى البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة:

المبحث الأول: فقد احتوى على مطلبين:

المطلب الأول: ترجمة مختصرة عن ابن عطية والبيضاوي.

المطلب الثاني: التعريف بالقراءات وأهميتها وحكمة تعددها.

المبحث الثاني: فقد احتوى على مطلبين:

المطلب الأول: منهج ابن عطية في القراءات من خلال كتابه المحرر الوجيز.

المطلب الثاني: منهج البيضاوي في القراءات من خلال كتابه أنوار التنزيل وأسرار التأويل. أما الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات.

ترجمة مختصرة عن ابن عطية والبيضاوي:

أولاً: الإمام ابن عطية:

هو عبد الحق بن غالب عبد الرحمن بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبدالله بن تمام بن عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكرم المحاربي.(ابن فرحون، د.ت، 22/2).

وأجمع المؤرخون على أن ميلاده كان سنة أحدى وثمانين وأربعمائة هجرية، ثمانية وثمانين وألف ميلادي، في غرناطة (ابن عطية، 2007، 3/1) توفي بحصن لورقة في الخامس والعشرين من شهر رمضان، وقد كان ذلك في سنة إحدى وأربعين وخمسمائة. ولا خلاف في ذلك بين المؤرخين والعلماء (ابن فرحون، د.ت، 103/1)، و(السيوطي، 1396هـ، 50/1)، و(أبو حيان،

1420هـ، 21/1)، و(التلمساني، 1968، 258/2)، و (الذهبي، د.ت، 588/19).

كان إماماً من أئمة المالكية وفقيهاً من كبار فقهائهم، وذكر في تفسيره أقوال علماء المالكية في المسائل الفقهية، وقد سلك طريق المذهب المالكي في استنباط الأحكام الفقهية في تفسيره.(ابن عطية، 2007، 1/1). و كان إماماً من أئمة الأندلس، ورجلاً من رجالاتها المعدودين، وعَلَماً من أعلامها المبرزين، وأكبر دليل على تَبَحُّره في العلم وتفننه فيه ما أنتجه وما تركه من آثار علمية وأدبية تشهد له بالإمامة.(فايد، 1973، 31/1)

وقد تجلت هذه الآثار في مجالات ثلاثة: مجال التأليف، ومجال الشعر والأدب، ومجال التلمذة عليه. ففي مجال التأليف وضع كتابه العظيم في تفسير القرآن الكريم، وهو الذي عرف بين الناس باسم المحرر الوجيز، وهو محور الدراسة لهذا البحث إن شاء الله تعالى.

ثانياً: الإمام البيضاوي:

هو القاضي الملقب بناصر الدين، "عبدالله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير القاضي ناصر الدين البيضاوي" (السبكي، 1413هـ، 159/8)، وقد جاء لقب البيضاوي: نسبة إلى مدينة البيضاء، ويلقب بالشِيرازي: نسبة إلى شِيراز بالكسر.

ولد الإمام البيضاوي في مدينة البيضاء بفارس، قرب شيراز وفيها نشأ (الزركلي، 2002، 110/4) ولا تُعرف سنة ولادته تحديداً؛ ولذلك لم تشر إليه المصادر التي ترجمت له، ويمكن تقريبه بأنه كان في أوائل القرن السابع الهجري، لاعتباره من علماء القرن السابع الهجري.

أجمعت كتب التراجم أن وفاته كانت بمدينة (تبريز) واختلفوا في سنة وفاته إلى أقوال متعددة، بعضها بعيد عن التحقيق، وأجمع أكثر المترجمين والمؤرخين على أنها كانت سنة (685هـ) (الصفدي، 2000، 206/17)، و(السيوطي، د.ت، 51/2)، (والزركلي، 2002، 110/4) ولعله الأقرب –فيما يبدو– نظراً لكثرة الذاهبين إليه من أعلام الترجمة وذهاب بعض المحققين إليه، وقد يليه في القرب قول من ذهب أنها كانت في سنة (691هـ) (ابن شهبة، 1407هـ، 172/2)؛ لاعتماد جماعة من أهل التراجم عليه, وللنظر في كتب من حقق مصنفاته. كان شافعي المذهب، ولقبه غالب من ترجم له بالشافعي نسبة إلى مذهبه، واعتُبِر أحد أعيان المذهب الشافعي، وتُرجم له في طبقاتهم(السبكي، 1413هـ، 157/18).

نشأ في أسرة ذات علم ودين وفضل، تلقى العلوم والمعارف عن والده في بادئ الأمر، ثم أخذ في تعلم الكثير من العلوم في أصول الدين وأصول الفقه والتفسير والعربية والأدب، والتاريخ وفي علم الكلام، والمنطق والفلسفة، حتى برع في كثير من العلوم والفنون في مختلف المجالات العلمية(البيضاوي، 2008، 70/1)، وقد رحل مع أسرته إلى شيراز عاصمة بلاد فارس، التي كانت قبلة لعلماء والفقهاء وقتها، فنهل من معين أكابر علمائها، حتى نبع وتفنن في علوم شتى، كما تشهد بذلك مصنفاته العديدة (ابن عاشور، 2008، 70/1). والتي من أشهرها تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) وقد رُزق هذا التفسير القبول فاهتم به العلماء ووضعوا له الكثير من الحواشي والتعليقات.

التعريف بالقراءات وأهميتها وحكمة وأغراض تعددها:

أولاً: التعريف بالقراءات القرآنية:

القراءات في اللغة: جمع قراءة، وهي مصدر سماعي لقرأ قراءة وقرآنا بمعنى تلا تلاوة، وهي في الأصل بمعنى الجمع والضم، تقول قرأت الماء في الحوض أي جمعته فيه، وسمي القرآن قرآنا؛ لأنه يجمع الآيات والسور ويضم بعضها إلى بعض (الزبيد، د.ت، 27/1)، و(ابن منظور، 1414هـ، 128/1)، و(أبو البقاء، د.ت، 720/1).

وفي الاصطلاح: تعددت أقوال العلماء في تعريفها فعرفها الزركشي بأنها: "اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما"(الزركشي، 1984، 138/1). وعرفها الزرقاني فقال: "القراءة مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراءة مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات عنه سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أو في هيئاتها"(الزرقاني، 1995، 336/1). وترى الباحثة أن أفضل تعريف للقراءات هو ما جاء في المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم؛ حيث عرفها بأنها: "الوجوه المختلفة التي سمح النبي ﷺ بقراءة النص القرآني بها قصدا للتيسير، والتي جاءت وفقا للهجة من اللهجات العربية القديمة" (عمر، د.ت، 16/1)

ثانياً: أهمية القراءات وفوائدها:

لاشك أن للقراءات القرآنية أهمية عظيمة وفوائد جمة وسنقتصر على (بن يوسف، د.ت، 22/1)، و(الزركشي، 1984، 327/1)، (السيوطي، 1407هـ، 278/1) أهما:

1) التيسير والتخفيف على الأمة ليقرأ كل منهم بما تيسر.

2) التنبيه على فضل هذه الأمة حيث نزل كتابها على سبعة أحرف بخلاف الكتب السابقة.

3) بيان فضل النبي ﷺ وكرامته عند ربه فقد كان نزول القرآن على سبعة أحرف استجابة لسؤاله عليه الصلاة والسلام.

4) عموم وشمول التحدي والإعجاز إذ إن نزوله على سبعة أحرف يحصل به التحدي للعرب جميعا.

5) إثراء التفسير والأحكام الشرعية؛ فإن تعدد القراءات يترتب عليه تعدد المعاني وتوسيع دائرة استنباط الأحكام الشرعية.

ثالثاً: الحكمة من القراءات وأغراض تعددها:

هناك حكم وأغراض متعددة استنبطها العلماء لتعدد القراءات واختلافها تتمثل في الدلالة على إعجاز القرآن وقوة بيانه وكثرة معانيه (الميداني، 1400، 722/1) ومن أهمها:

1) التكامل في المعاني: وهو أن ترد القراءتان وتؤدي كل قراءة معنى لا تؤديه القراءة الأخرى، فتقوم القراءتان أو الأكثر مقام تعدد الآيات.

2) التكامل في الأداء البياني: وذلك بأن يرد الكلام مرة بأسلوب الغائب، كقوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة:144)، ويأتي مرة بأسلوب الخطاب، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ البقرة: 74)، وهذا وارد بكثرة في القراءات، وكأن يراعى في النص توجيه الخطاب بالبناء للمعلوم مرة، كقوله تعالى: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ﴾ (البقرة: 58)، وتوجيهه مرة أخرى بالبناء لما لم يسم فاعله، كقوله تعالى: ﴿ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ قرأ نافع وأبو جعفر بياء تحتية مضمومة مع فتح الفاء، وقرأ ابن عامر بتاء فوقية مضمومة مع فتح الفاء وقرأ الباقون بالنون المفتوحة والفاء المكسورة. (البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة،1375هـ1955م، ص32).

3) بيان حكم من الأحكام، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ﴾ (النساء: 12)، قرأ سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه ((وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْت من أم)) بزيادة لفظ "من أم"، فتبين بها أن المراد بالأخوة في هذا الحكم الأخوة لأم، دون الأشقاء ومن كانوا لأب، وهذا أمر مجمع عليه.

4) ومن الحكم دفع توهم ما ليس مرادا؛ كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا﴾ (الجمعة:9)، قرئ: ((فامضوا إلى ذكر الله))، فالقراءة الأولى توهم وجوب السرعة في المشي إلى صلاة الجمعة فجاءت القراءة الثانية ورفعت هذ التوهم؛ لأن المضي ليس من مدلول السرعة.

5) بيان لفظ مبهم نحو قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ (القارعة: 5)، قرئ: ((كالصوف المنفوش))، فبينت القراءة الثانية أن العهن هو الصوف (الزرقاني، 1995، 126/1).

منهج ابن عطية والبيضاوي في القراءات:

أولاً: منهج ابن عطية في القراءات القرآنية:

– أما منهجه في القراءات القرآنية المتواترة والشاذة فقد اهتم بتوجيه القراءات القرآنية المتواترة والشاذة. وقد قال في مقدمة تفسيره: "وقصد إيراد جميع القراءات مستعملها وشاذها، واعتمدتُ تبيين المعاني وجميع محتملات الألفاظ". (ابن عطية، 2007، 34/1).

– وذكر في مقدمته كذلك في باب نزول القرآن على سبعة أحرف: "مضت الأعصار والأمصار على قراءة البسملة وبها يُصلَّى؛ لأنها ثبتت بالإجماع، وأما شاذ القراءات فلا يصلى به؛ وذلك لأنه لم يُجمع الناس عليه، إما أن المروي عنه عن الصحابة وعن علماء التابعين لا يعتقدون فيه إلا أنهم رووه". (ابن عطية، 2007، 48/1). ففي كلامه هذا يثبت ابن عطية أن القراءات الشاذة تبقى شاذة وإنْ رواها الصحابة والتابعون فتكون مجرد رواية لا يوثق بها؛ لأنها شاذة.

وتنوعت مصادر ابن عطية التي اعتمد عليها في إيراد القراءات المختلفة في كتابه، فلم يقتصر عند ذكر التراجم المختلفة في القراءات وتوجيهها على كتب القراءات المعنية بجمعها وعزوها والاحتجاج لها، بل تعداها إلى بعض كتب التفاسير واللغة. وهذه قائمة في الهامش بأسماء العلماء الذين أفاد منهم ابن عطية في علم القراءات إيراداً وتوجيهاً بحسب التتبع والاستقراء، (ابن مجاهد، أبوعمر والداني، مكي بن أبي طالب، أبو حاتم السجستاني، أبو جعفر الطبري، علي بن سليمان الزهراوي، أبو إسحاق الزجاج، أبو الحسن الأخفش، أبو العباس المبرد، الكسائي، أبو بكر النقاش، أبو عبدالله المالقي، أبو عمر المطرز، ثعلب، أبوعلي الأهوازي، أبو البركات ابن الأنباري، أبو عبيد البكري، أبو زيد، هارون الأعور، القاسم ابن معن، منذر بن سعيد، أحمد بن موسى اللؤلؤي، عبدالرحمن الثعالبي، القاسم بن ثابت السرقسطي وغيرهم)، فهؤلاء هم أصحاب المؤلفات التي نقل عنهم. (الشمري، د.ت، ص11–13).

وقد تبين من خلال كتبهم أنها في فنون ثلاثة هي: القراءات والتفسير واللغة. وهؤلاء العلماء منهم من أَكْثَرَ المُصنِّف النقل عنهم،

ومنهم من توسط بالنقل عنهم، ومنهم من لم ينقل عنهم إلا في موضع أو موضعين.

هذا ما يتعلق بمصادره التي نقل عنها، أما بقية القراءات المبثوثة في كتابه، فالذي يظهر –والعلم عند الله– أنه استحضرها من حفظه عند الكتابة ولم يرجع فيها لمصدر، بل يذكرها من عنده نقلاً عن شيخه قراءةً عليه أو ما أخبره به شيخه مشافهةً، أو غير ذلك مما لا يحتاج إثباته بالمصادر.

ومما يرجح أنّ المصنِّف ساق هذه القراءات من حفظه لما لوحظ في بعض المواضع من إبهام أصحاب القراءة، وجزمه بعدم صحة بعض القراءات –والتي قرئ بها–, ووقوعه في الخطأ أو الوهم في نسبة بعض منها.(ابن عطية، 2007، 11/1-13).

ومن القراءات ما جزم المصنف بأنه لم يُقرأ به والصحيح أنه قُرئ به فمِن ذلك تعليقه على كلمة (ث) في قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي﴾ (يونس:71) حيث قال: "ولم يُقرأ هنا بالضم" (ابن عطية، 2007، 67/9) فعقب عليه صاحب البحر المحيط بقوله: "وليس كما ذكر بل قَرأ (مُقامي) بضم الميم" . (أبو حيان، 1420هـ، 145/5)

– وكذلك من منهجه المتبع لا يشغل نفسه بتوجيه القراءات التي تكون واضحة المعنى (فايد، 1973، 163).

مثال على ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (آل عمران: ٣)، "(الكتاب) في هذا الموضع القرآن باتفاق من المفسرين، وقرأ جمهور الناس ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ﴾ بشد الزاي (الكتاب) بنصب الباء، وقرأ إبراهيم النخعي ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ بتخفيف الزاي ورفع الباء" (ابن عطية، 2007، 397/1).

ثانياً: منهج البيضاوي في القراءات:

وقد بين الإمام البيضاوي شيئاً من منهجه في القراءات في مقدمة كتابه فقال: "ويَعرِبُ عن وجوه القراءات المشهورة المعزوة إلى الأئمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين"(البيضاوي، د.ت، 9/1) ومن خلال هذه المقدمة نستطيع أن نعرف منهجه العام في القراءات. والإمام البيضاوي قد درس هذه القراءات وأوردها في تفسيره ووجهها من العربية. فكان يذكر القراءات السبع المتفق عليها ويذكر معها قراءة يعقوب الحضرمي كجزء من القراءة المتفق عليها، مع العلم أن قراءة يعقوب عند الجمهور في الثلاثة المختلف فيهم.

فقد قال صاحب كتاب اتحاف فضلاء البشر: "ولما كانت القراءات بالنسبة إلى التواتر وعدمه ثلاثة أقسام: قسم اتفق على تواتره وهم السبعة المشهورة، وقسم اختلف فيه والأصح بل الصحيح المختار المشهور تواتره كما تقدم وهم الثلاثة بعدها، وقسم اتفق على شذوذه وهم الأربعة الباقية" (الدمياطي، 2006، 14/1).

ويعقوب الحضرمي من القسم الثاني ومع ذلك عده الإمام البيضاوي من القسم الأول ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في سورة المائدة:﴿ فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ (المائدة: 95) فقد قال الإمام البيضاوي فيها: ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾ برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه أي فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم والأمثلة كثيرة جداً ولو تَتَبّعَت تفسير الإمام البيضاوي لوجَدَّت قراءة يعقوب لا تقل عن قراءة السبعة. وهنا لابد لنا من وقفه علمية مع منهج الإمام البيضاوي في القراءات وذكر الأمثلة على ذلك.

الإمام البيضاوي يذكر العدد في بداية كل سورة فهو يورد عدد آياتها على مختلف المذاهب، وأكثر ما يذكر العدَّ بالمذهب الكوفي ويقتصر عليه كما في سورة النساء والمائدة، والأنعام، والأنفال، وهود، وإبراهيم، والأنبياء، والحج، وغيرها.

ويقتصر أحياناً على ذكر العدَّ بالمذهب البصري كما في سورة البقرة والكهف والسجدة. ويذكر المذهبين – أحياناً– كما في (سورة المؤمنون)، فيقول الإمام البيضاوي: "مكية وهي مائة وتسع عشرة آية عند البصريين وثماني عشرة عند الكوفيين" (البيضاوي، د.ت، 139/2).

كما أنه سار على منهج بعض المفسرين الذين وقعوا في انتقاد بعض القراءات الصحيحة المتواترة وحكموا على بعضها باللحن، وأحسبه تابع في ذلك الزمخشري الذي وقع في ذلك وانتقده العلماء في ذلك (الشهري، 1435هـ، 182).

مثال على ذلك كما في سورة النساء في قراءة (الأرحام) بالجر، قال تعالى:﴿ واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (النساء: 1)، قال الإمام البيضاوي فيها: "وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لأنه كبعض الكلمة" (البيضاوي، د.ت، 6/1).

وما ذكره الإمام البيضاوي من ضعف قراءة حمزة قول مردود، وقد نقله عن الزمخشري (الزمخشري، 1407هـ، 241/1) وهو مذهب البصرين وأولهم سيبويه حيث حكم بالضعف على هذه القراءة (سيبويه، 1988، 382/2)، وحمزة هو أحد القراء السبعة المشهورين الذين تلقت الأمة قراءتهم بالقبول، وهذه قراءة عبد الله بن مسعود وابن عباس ومن التابعين إبراهيم النخعي والحسن البصري وغيرهما.

وأما قوله: أنها غير موافقة للعربية فهذا مردود أيضاً؛ لأن القراءة إذا ثبتت فإنها حجة في العربية وليست القواعد النحوية حجة على القراءة، وقد أثبت مالك النحوي جواز هذا الوجه في اللغة، واستشهد له بشواهد متفرقة من نثر العرب وشعرها (أبو حيان، 1420هـ، 159)، و(ابن عقيل، 1980، 240/2).

كما أن البيضاوي يذكر القراءات ويوجهها، ويستشهد باللغة كثيراً. من الأمثلة على ذلك:﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (3) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (6) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ7 ﴾(الماعون:1-7).

قال الإمام البيضاوي: "مختلف فيها وآيها سبع آيات. بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ﴾ ﴿أَرَأَيْتَ﴾ استفهام معناه التعجب وقرئ أريت بلا همزة إلحاقا بالمضارع ولعل تصديرها بحرف الاستفهام سهل أمرها وأرأيتك بزيادة الكاف ﴿الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ بالجزاء أو الإسلام والذي يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني قوله: ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ... ﴾ يدفعه دفعاً عنيفاً وهو أبو جهل كان وصياً ليتيم فجاءه عرياناً يسأله من مال نفسه فدفعه، أو أبو سفيان نحر جزوراً –الذبيحة– فسأله يتيم لحماً فقرعه بعصاه، أو الوليد بن المغيرة أو منافق بخيل وقُرئَ (يَدعُ) أي يترك. ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ أهله وغيرهم ﴿عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على كَذِّبُ بالفاء. ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾أي غافلون غير مبالين بها. ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾يرون الناس أعمالهم ليروهم الثناء عليهم"(البيضاوي، د.ت، 534/5).

وكما أن الإمام البيضاوي لا يكتفي بإيراد أوجه اختلاف القراءة في الآية، وإنما يوجه القراءات، ويبين وجه كل قراءة، ومثالاً على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (القصص: 37)، حيث قال الإمام البيضاوي فيها: "وقرأ ابن كثير (قَالَ) بغير واو لأنه قال ما قاله جواباً لمقالهم ووجه العطف أن المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد" (البيضاوي، د.ت، 293/4).

وكذلك كان الإمام البيضاوي يستخدم القراءة في ترجيح معنى على معنى في التفسير، كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (البقرة: 36).

فقد قال الإمام البيضاوي فيها: " ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾أصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظير هذه في قوله تعالى:﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ (الكهف:82) أو أزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما ويعضده قراءة حمزة فأزلهما وهما متقاربان في المعنى غير أن أزل يقتضي عثرة مع الزوال"(البيضاوي، د.ت، 297/4-298)

وقد كان الإمام البيضاوي يذكر القراءات الشاذة أحياناً ولا يكثر منها ولا يشير إلى أصحابها ومنها ما ينسبها إلى قُرَّائِها، ومنها مالا ينسبها، ومنها ما أخطأ في نسبتها إلى قُرَّائِها, وغالباً ما يذكر قراءة الحسن البصري في آخر ذكره للقراءات يذكرها من غير أن يعزوها له. مثال ذلك قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ (الزخرف: 18).

فقد قال الإمام البيضاوي وفيها: "وقرأ حمزة والكسائي وحفص (يُنْشأ) أي يُربي وقرئ (ينشأ) ويناشأ بمعناه ونظير ذلك أعلاه وعلاه وعالاه بمعنى" (البيضاوي، د.ت، 142/5)، ويناشا هي قراءة الحسن البصري، فقد جاء في البدور الزاهرة: "قرأ الحسن أومن يُنَاشَا بياء مضمومة ونون مفتوحة بعدها ألف وشين خفيفة مع البناء للمفعول على وزن يقاتل من باب المفاعلة والمناشاة بمعنى الإنشاء كالمغالات بمعنى الإغلاء" (القاضي، 1955، 80/1).

وقد تعرض للقراءات المتروكة التي أُحرِقَت زمن عثمان لكنها كانت موجودة في الصدور فتناقلوها جيلاً عن جيل، فكان يذكرها على سبيل الاستئناس فكان غالباً ما يذكر قراءة أُبيّ بن كعب وابن مسعود مثال ذلك قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ (الاحزاب: 6). فقد قال الإمام البيضاوي فيها: "وقُرئ وهو أب لهم أي في الدين فإن كل نبي أب لأمته" (البيضاوي،

د.ت، 364/4) وقراءة هو أب لهم هي قراءة أُبيّ بن كعب وابن عباس. وقال صاحب كتاب الجامع لأحكام القرآن: "إن في مصحف أُبيّ بن كعب: "أزواجه أمهاتهم وهو أب لهم، وقراء ابن عباس: "أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب وأزواجه أمهاتهم" (القرطبي، 2003، 122/14)

المقارنة بين منهجي المفسرين في القراءات القرآنية:

يتبين لنا من خلال الدراسة والنماذج التي أوردتها الباحثة لكلا المفسرين ما يلي:

لقد اهتم الإمام ابن عطية بعرض القراءات القرآنية، وتفوق على الإمام البيضاوي في عرضها؛ حيث برز في اهتمامه بذكر كل ما ورد في الآية من قراءات صحيحة وشاذة، وأضاف على ذلك بحسن الترتيب في عرضها، واسند كل قراءة إلى أصحابها، وتوسع في ذكر توجيه القراءات، واقتصر على القراءات السبع، بخلاف الإمام البيضاوي حيث أضاف قراءة يعقوب، ولم يذكر الروايات الصحيحة الأخرى، ولم يُسْنِد كل قراءة إلى أصحابها، كما أنه يوجز في توجيه القراءات.

الخاتمة:

– أن القراءات القرآنية تثري التفسير، وتعدد المعاني والدلالات.

– الفائدة الكبيرة التي يحتويها كلا التفسيرين في العلوم المختلفة وخاصة فيما يتعلق بالقراءات.

– تميز الإمام ابن عطية في ذكر القراءات صحيحها وشاذها وينسب كل قراءة إلى صاحبها، ويوجهها، واقتصر الإمام البيضاوي على القراءات السبع وقد يذكر أحيانا قراءة يعقوب الحضرمي.

– تنوع مصادر ابن عطية التي اعتمد عليها في إيراد القراءات المختلفة في كتابه، فلم يقتصر عند ذكر التراجم المختلفة في القراءات وتوجيهها على كتب القراءات المعنية بجمعها وعزوها والاحتجاج لها, بل تعداها إلى بعض كتب التفاسير واللغة.

– كان الإمام البيضاوي يذكر القراءات الشاذة أحياناً ولا يكثر منها ولا يشير إلى أصحابها ومنها ما ينسبها إلى قُرَّائِها، ومنها مالا ينسبها، ومنها ما أخطأ في نسبتها إلى قُرَّائِها

التوصيات:

– توصي الباحثة بدراسة منهج المفسرين في موضوعات أخرى كالتدقيق في الروايات والعناية بأسباب النزول والاهتمام بالجوانب البلاغية وغير ذلك من الموضوعات التي فيها برزت فروق واضحة بين منهجي الإمامين ابن عطية والبيضاوي في تناولها، حيث إنهما يمثلان مدرستين مختلفتين من مدارس التفسير.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي (1407هـ) طبقات الشافعية، ت: الحافظ عبد العليم خان، ط1، عالم الكتب، بيروت.
- ابن عاشور، محمد الفاضل، التفسير ورجاله (1970) مجمع البحوث الإسلامية، ط2، القاهرة.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (2007) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبدالسلام عبد الشافي محمد، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (1980) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط20، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (1414هـ) لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت.
- أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي (د.ت) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ت: عدنان درويش، محمد المصري، د.ط، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (1420هـ) البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، د.ط، دار الفكر، بيروت.
- البشري، عبد الرحمن بن ناشب (د.ت) البيضاوي ومنهجه في التفسير، د.ط، د.د، د.ب.
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (د.ت) أنوار التنزيل أسرار التأويل، د.ط، دار الرشيد، بيروت.
- التلمساني، أحمد بن محمد المغربي (1968) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، ت: إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت.
- الدمياطي، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني (2006) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ت: أنس مهرة، ط3، دار الكتب العلمية، لبنان
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ت: شعيب الأرنؤوط، د.ط، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم (1995) مناهل العرفان في علوم القرآن، ت: فواز زمرلي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله (1984) البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، المكتبة دار التراث، القاهرة.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (2002) الأعلام، ط15، دار العلم للملايين.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (1407هـ) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت.
- السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي (1413هـ) طبقات الشافعية الكبرى، ت: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، ط2، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.
- سليمان، إسلام فرح الخليفة (2007) ابن عطية ومنهجه في تفسيره المحرر الوجيز، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم. السودان.
- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر (1988) الكتاب، ت: عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (د.ت) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، المكتبة العصرية، صيدا.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (1396هـ) طبقات المفسرين، ت: علي محمد عمر، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (1407هـ) الإتقان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، المكتبة العصرية بيروت.
- الشمري، عبدالرحمن بن مقبل (د.ت) منهج الإمام ابن عطية في عرض القراءات في تفسيره المحرر الوجيز، أُعِدَّ هذا البحث كمتطلب من متطلبات مادة: مناهج المفسرين، في مرحلة الماجستير، المملكة العربية السعودية.
- الشهري، عبدالرحمن (1435هـ) الإمام البيضاوي وتفسيره: التعريف به وبمصادره وما اعتنى به فيه من العلوم، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، ع17.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (2000)، الوافي بالوفيات، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، د.ط، دار إحياء التراث، بيروت.
- عبد الرحمن حسين حنبكة الميداني، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، دار القلم، ط1، 1400هـ-1980م.
- عمر، أحمد مختار (د.ت) المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، د.ط، د.د، د.ب.
- فايد، عبد الوهاب عبد الوهاب (1973) منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، د.ط، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة.
- القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد (1955) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ط1، مطبعة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.
- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (2003)، الجامع لأحكام القرآن، ت: سمير البخاري، د.ط، دار عالم الكتب، الرياض.